

الإطار الجغرافي العام لبلاد المغرب القديم.

الأستاذة : د. بوجلابة فوزية سعاد

الجغرافيا الطبيعية لبلاد المغرب

1- أهمية الدراسة الجغرافية عامة :

- تعتبر المعطيات الجغرافية عامل أساسي في تفسير حركية التاريخ وتطور الشعوب.

- وقد يذهب بعض الكتاب بعيدا فيرجحون تقدم شعب وانحطاط أخرى إلى المعطيات الطبيعية دون الأخذ بعين الاعتبار العوامل الأخرى.

- فهذا الإجحاف في إصدار الأحكام وهذا التقصير في البحث عن العلل يترجمان ما يخفيه هؤلاء من التوجهات السياسية والخلفيات الأيديولوجية ومعها استعدادهم لوضع أو لكتابة تواريخ بعض البلدان في قوالب جاهزة يكون دورها مهمش مقارنة ببلدان أخرى.

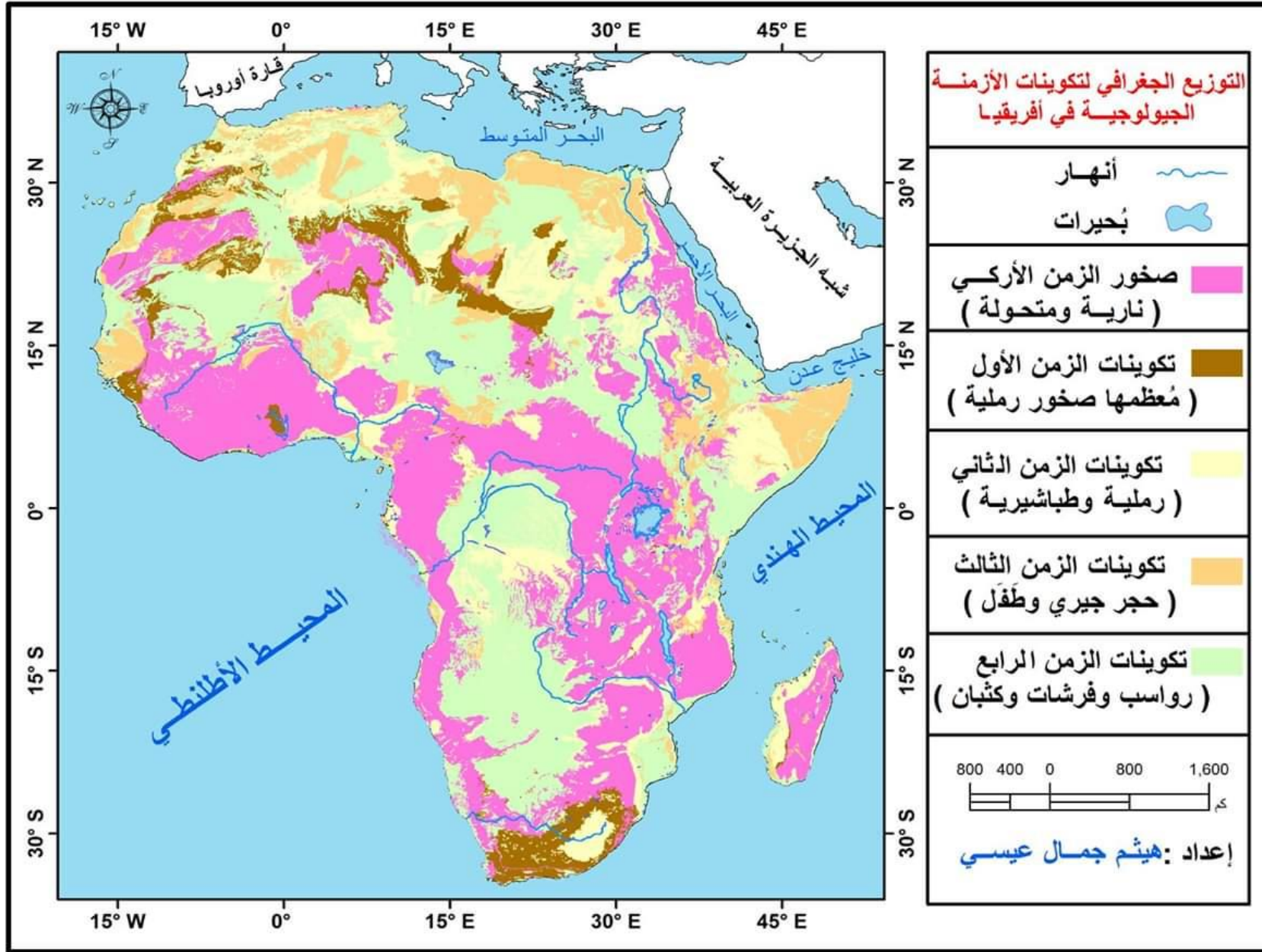
2-الوضع الجغرافى لبلاد المغرب القديم

يرى علماء الجيولوجيا على أن الوضع الجغرافي لبلاد المغرب القديم كان يختلف نسبيا عن الوقت الراهن ولعل أهم تطور عرفته منطقة جبل طارق وذلك في الزمن الجيولوجي الثاني.

كما أن مياه المحيط تراجعت كثيرا حيث كان يعتقد أنها تصل الى مدينة تازة.

بينما شهد الجنوب تقلبات مناخية مهمة تمثلت في انحصار المجال المداري الرطب وتكون البيئة صحراوية.

انقرضت خلالها الزواحف والحيوانات الضخمة وأصبحت الصحراء الشائعة جدا طبيعيا بين الشمال وبلدان القارة الأخرى في إفريقيا



الجدول (1-1): الزمن الجيولوجي مع ذكر الأحداث المهمة.

مقياس صحيح مليون سنة قبل الآن	مليون سنة قبل الآن	الأحداث		مليون سنة قبل الآن	العصر	الحين	الحقبة
		الأرض	الحياة				
				0.01	الرباعي	هولوسين Pleistocene	الحقبة الحديثة
	1.65	العصر الجليدي تكون السلاسل الجبلية المستعرضة في كاليفورنيا	• حدث انقراض البشر الحاليين • البشر الأوائل	1.65	الثلاثي	• بليوسين Pliocene	
		تكون جبال الأنديز تصادم الهند مع آسيا تكون جبال الهملايا وهضبة التبت	• الأعشاب • الحيتان • حدث انقراض انتشار الثدييات	5.2 23 35		• ميوسين Miocene	
	65	تكون جبال الروكي	• حدث انقراض الديناصورات (1) • النباتات الزهرية	65	الحقبة المتوسطة	• أوليجوسين Oligocene	
		تكون جرانيت سييرا نيفادا (متنزه يوزاميت الوطني)	• الطيور	146		• إيوسين Eocene	
		• بدء تحطم قارة بانجيا العملاقة	• الثدييات • الديناصورات	208		• باليوسين Paleocene	
	245	العصر الجليدي	• حدث انقراض الزواحف	245	الحقبة القديمة	الكريتاسي (الطباشيري)	
		تكون جبال الأبالاش	• الأشجار (مستقدمات الفحم) • حدث انقراض	290		الجوراسي	
			• النباتات الأرضية • حدث انقراض الأسماك	363		الترياسي	
			انتشار الكائنات ذات الأصداف	417		البيرمي	
	545	العصر الجليدي	الكائنات متعددة الخلايا أكسجين حر في الجو وطبقة الأوزون في الستراتوسفير	443		الكربوني	
		• أقدم الصخور • عمر الأرض	الحياة البدائية أول المستحاثات	495		الديفوني	
4600	4600			545	السيلوري	ما قبل الكامبري	
				2500	الأردوفيشي		
				3500	الكامبري		

(1) يعتقد بعض العلماء أن الديناصورات جميعها لم تنقرض، ولكن بعضها تطور إلى طيور.

3-الموقع الجغرافي

فلكيا

تقع بلاد المغرب بين خطي طول 10° غرب غرنيش، والمار غرب مدينة لشبونة ينطبق على الساحل الأطلسي لبلاد المغرب بينما 25° شرق، والمار بمنتصف جزيرة كريت ينطبق على الحدود الشرقية لليبيا الحالية بينما تنحصر المنطقة بين دائرتي عرض 18° و 38° شمالا.

تقع بلاد المغرب شمال غرب إفريقيا، محصورة بين غرب نهر النيل شرقا والمحيط الأطلسي غربا، ومن البحر المتوسط شمالا، إلى أعماق الصحراء الكبرى جنوبا.

إن نظرة متأنية لطبيعة المنطقة يلاحظ مايلي:

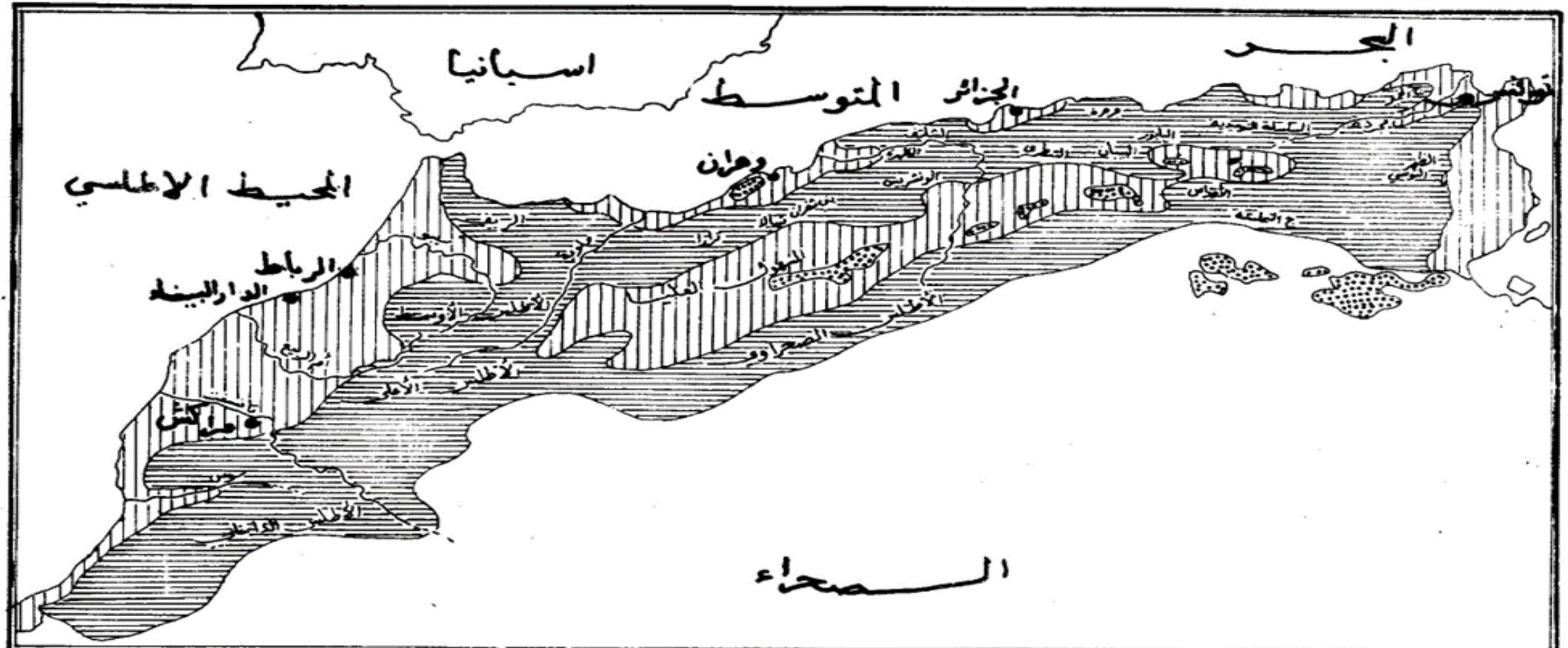
التضاريس مكملة لبعضها البعض ومتجانسة في المظهر الجغرافي والامتداد التاريخي.
على طول جنوب ساحل البحر المتوسط تمتد سلسلة جبلية موازية له تتخللها سهول
ساحلية ضيقة متقطعة في كثير من الأحيان

تمتاز بلاد المغرب القديم من حيث الموقع الجغرافي بكونها حلقة ربط بين الحوض
الشرقي و الغربي للمتوسط والحضارات التي نشأت في المنطقة الصحراوية جنوبا.
أي أنها رابطة بين الحضارتين الإفريقية والبحر متوسطية المتمثلة في
الإغريقية والرومانية والشرق القديم.

تعتبر المنطقة المغاربية ملتقى حضارات للمناطق المحيطة بها.
كما تبدو البلاد المغاربية على رأي البعض في شكل رباعي
الأضلاع غير منتظم، تحده شمالا جبال ذات قمم مسننة، يتجاوز
ارتفاعها 2000م والمعروفة بجبال الأطلس،

فكانت من نتائج حركات القشرة الأرضية وكذا العوامل الطبيعية
التي ساهمت في التشكيل المورفولوجي لإفريقيا الشمالية في موقع
تخضع معه لتأثير البحر والمحيط والصحراء .

الخريطة ١٠ طبيعة أرض بلدان المغرب



مقياس الزنبر
100000000

للشطوط

سلسلة الأطلس

أما عن عامل البيئة/

فإنه نظرا للطابع الطبوغرافي الذي فرضته الطبيعة في المنطقة التي تستولي على شمالها في كثير من الأحيان الجبال الصعبة المسالك، فإن الإنسان فيها طبع بطابع الجدية وذلك حتى يغلب على صعوبة المنطقة ويخلق لنفسه مناخا خاصا.

تأثير تضاريس المنطقة على تأخر دخول الإنسان في الفترة التاريخية
إذا ما قيس بجيرانه الذين ساعدتهم طبيعة المناخ والطبوغرافيا
كالسهول التي تتوفر فيها المياه الجارية مثل بلاد ما بين النهرين
ووادي النيل.

نتيجة للعاملين السابقين فقد توفرت في تاريخ المغرب القديم الصفة المحلية والدولية
في إطار البحر المتوسط تارة وفي الإطار المغاربي والإفريقي تارة أخرى.

وقد عرفت السلسلتين الجبليتين الأولى بالأطلس الريف والأطلس التلي الذي تعود تكوينات صخوره إلى الطور الجيولوجي الثالث، ومعظم صخوره بركانية، وتعتبر هذه الجبال امتداد لجبال الألب الأوروبية وهي معاصرة لها في الظهور.

وفي غالب الأحيان فإن تكوين السهول الساحلية في بلاد المغرب يعود إلى الزمن الجيولوجي الرابع الذي أخذ فيه البحر المتوسط شكله الحالي، أما السهول الداخلية فتعود معظم ترسباتها إلى الزمنين الجيولوجيين الثاني والثالث، وهي مرتفعة مثل سهل الحضنة وتلمسان وبلعباس ومعسكر، حيث تعد من أهم السهول التي وجدت فيها بصمات وبقايا الإنسان المغربي القديم.

الصحراء

أما الصحراء الكبرى حسب رأي بعض الباحثين فهي مصدر نشأة الإنسان الأول، وقد هاجرها بعد فترة الجفاف الذي أصابها في نهاية الزمن الجيولوجي الرابع، فالتجّمت مجموعة من سكانها نحو الشمال متتبعة مصدر المياه فاستقرت في شمال القارة الإفريقية، ثم اتّجّمت المجموعة الثانية إلى الجنوب نحو أعالي نهر النيجر والمناطق الاستوائية لنفس الغرض.

أهم دلائل المادية عن تعمير الصحراء في العصور القديمة :

1- وجود مجاري الأنهار في الصحراء يدل على أن هذه المنطقة كانت تنال كمية من المطر .

2- بقايا مجاري الوديان التي لازالت موجودة حتى يومنا هذا مثل وادي الساوره وواد إغرغار

3- وجود فؤوس حجرية ومستقرات في أعماق الصحراء بالهقار والطاسيلي يدل على أن هذه المنطقة كانت ملائمة للحياة البشرية أكثر مما هي عليه في وقتنا الحالي.

4- وجود بقايا عظام الحيوانات المتحجرة يدل هو الآخر على وجود النشاط الإنساني في المنطقة المغاربية خلال الأزمنة القديمة.

الموقع الجغرافي من خلال المصادر الكلاسيكية

أ- حسب هيرودوت⁽⁴⁾ (Hérodote):

تعد لوبة القارة الثالثة من قارات العالم القديم بعد أوروبا وآسيا، تمتد من غرب مصر إلى رأس سولويس (soleils) تخلت لوبة المسطحات المائية القديمة المعروفة بـخليج السيرت الكبير، وبحيرة التريتونيس وأعمدة هرقل معظم المصادر القديمة إذا اتجهنا جنوباً، فهي أوسع ثم تشكل شريطاً يمثل منطقة صحراوية بمحاذاة الأطلس، وبهذا الوصف كانت بلاد المغرب القديم تنقسم إلى ثلاثة أقاليم

-الإقليم الساحلي:الذي تنتشر فيه معظم القبائل اللوية.

-الإقليم الداخلي: الذي يعتبر امتداد لموطن القبائل اللوية الساحلية.

-الإقليم الصحراوي:هو الإقليم ذو المناخ القاسي، والذي تعتبره القبائل صعب المعيشة، والجدير

بالذكر أنه لا يمكن أن نحدد لوية في منطقة الساحل بل في كامل شمال إفريقيا⁽¹⁾.

ب_جغرافية بلاد المغرب القديم حسب سترابون (Strabon):

قدم سترابون لجغرافية لوبا في كتابه السابع عشر على النحو الآتي :

"...الواقع أن مساحة لوبا أوسع بكثير مما ورد في المصادر السابقة إذ تمتد بين الإسكندرية شمالا وميروا عاصمة إثيوبيا جنوبا على امتداد 10.000 ستاد⁽²⁾، حيث تقع على حدود المنطقة المشتركة بين المنطقة المحرقة، وبين الأرض المأهولة ، ونستطيع حساب مسافة 3000 ستاد، وبذلك نقدر أقصى امتداد جغرافي طوليا لوبة بحوالي 13.000 ستاد، ومع ذلك فإننا لانستطيع وضع تحديد دقيق لكامل المساحة..."⁽³⁾.

ويواصل سترابون في كتابه تحديد منطقة المغرب القديم ولكن وفق طبيعة المناخ الذي عاينه آنذاك فذكر مايلي: "...إن لوبة تأتي بعد آسيا في مساحتها وتأخذ شكل مثلث قائم الزاوية، وتنقسم إلى ثلاث مناطق:

- المنطقة الأولى: تمتد على طول بحرنا، وهي خصبة وتتأخم الحدود القرطاجية إلى غاية موريطانيا وأعمدة هرقل.

- المنطقة الثانية: تمتد على طول المحيط، وهي أقل خصوبة من الأولى.

- المنطقة الثالثة: هي منطقة مشتركة بين المنطقة الخصبة والمنطقة الصحراوية، وهي لا تنبت سوى نبات السليفيوم⁽¹⁾.

ج _ جغرافية بلاد المغرب حسب بلين (Pline) :

لوبة هي المنطقة المحصورة بين الحدود الغربية لمصر حتى المحيط الأطلسي، وبين خليج السرت والرتونيس وأعمدة هرقل، ولم يتناول بلينوس الأكبر من الموقع الجغرافي لبلاد لوبة أكثر مما ذكر لكنه كان واضح الوصف⁽²⁾.

د_جغرافية المغرب القديم حسب سالوست (Salluste):

ذكر سالوستيوس بأن تحديد جغرافية إفريقيا سيكون مختصرا جدا لندرة المعلومات التي وصلتهم فيذكر في الفقرة السابعة عشر من كتابه: "...تتميز إفريقيا بالحرارة الشديدة وبالصحاري... وتكون إفريقيا الجزء الثالث من العالم، إلا أن بعض الكتاب لا يعدون سوى قسمين آسيا وأوروبا، ويلحقون إفريقيا بأوروبا... ويجدها من الغرب المضيق الذي يصل بحرنا بالمحيط، في قسمها الشرقي تمتد هضبة كاتباتموس" (3).

وينقسم إلى ثلاثة أحزمة جغرافية كبرى، وتقطنها شعوب وقبائل مختلفة كانت من أهم محددات رسم الحدود، ومن خلال التحديد يبدو لنا ومنطقة بلاد المغرب هي عبارة عن منطقة واحدة متصلة بعضها ببعض الأخر، ويبدو أن البحار والمحيطات والصحاري هي الحدود الفاصلة لهذه المنطقة الواحدة، وبالتالي أثر ذلك على تشابه سكان ولغات أهل المغرب القديم⁽⁴⁾، وهذا ما يظهر في الخريطة:



خريطة رقم (01): موقع بلاد المغرب القديم

عن السعيد القعر المشردى، الزراعة في بلاد المغرب القديم (ملاحم النشأة والتطور حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة قسنطينة، 2008، 2007، ص 16.

هـ- ابن عذاري البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب

إن حد المغرب هو من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب وحده مدينة سلاء وينقسم أقساماً:

فقسم من الإسكندرية إلى طرابلس وهو أكبرها وأقلها عمارة وقسم من طرابلس وهي بلاد الجريد ويقال أيضاً بلاد الزاب الأعلى ويلى هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها إلى مدينة تيهرت ويلىها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها مدينة سلاء وهي آخر المغرب

وإذا جرت سلاء وأخذت إلى ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة وأخذت منها قافلاً إلى قبلة فتسمى تلك البلاد تامسنا ويقال لها أيضاً بلاد السوس الأدنى وحدها إلى جبل درن

وإذا جرت هذا الجبل فعن يمينك بلاد السوس الأقصى ويقال لها بلاد ماسة
ويتصل السوس الأقصى ببلاد الصحراء إلى السودان وهي بلاد الزهج
وببلاد الأندلس أيضاً من المغرب وداخلة فيه لاتصالها به
ويليها المجاز الأعظم الذي يسمى بحر الزقاق وفيه مصب البحر الكبير
الذي يسمى المحبط ويقال له بحر الظلمات وهذا البحر لا يعلم له ساحل
غير الذي عليه بلاد السودان وبلاد الكجوس الذين يلون بلاد الأندلس

ويصب ماء الزقاق في البحر الرومي ويقال له أيضاً البحر الشامي وهو يتصل إلى البلاد الشام إلى ناحية القسطنطينية وبينه وبين بحر الزقاق الخليج الذي منه وذكر بن حمادة أن حد المغرب من بحر القلزم وهو الهابط من اليمن إلى عدن إلى عيذاب إلى القلزم وإلى مصر قبلة وشرقاً وحد المغرب من الجوف البحر الشامي وهو بحر الإسكندرية وهو المتفرغ في بحر الزقاق من جزيرة طريف وعلامته صنم قانس وحد المغرب من الغرب البحر المحيط المسمى الابلاية وصار المغرب كالجزيرة دخل فيه بعض أعمال مصر وأفريقية كلها والزاب والقيروان والسوس الأدنى والسوس الأقصى وبلاد الحبشة ومنه يتفرع نيل مصر.

و- مارمول كرىخال فى كئابه وصف إفرىقيا

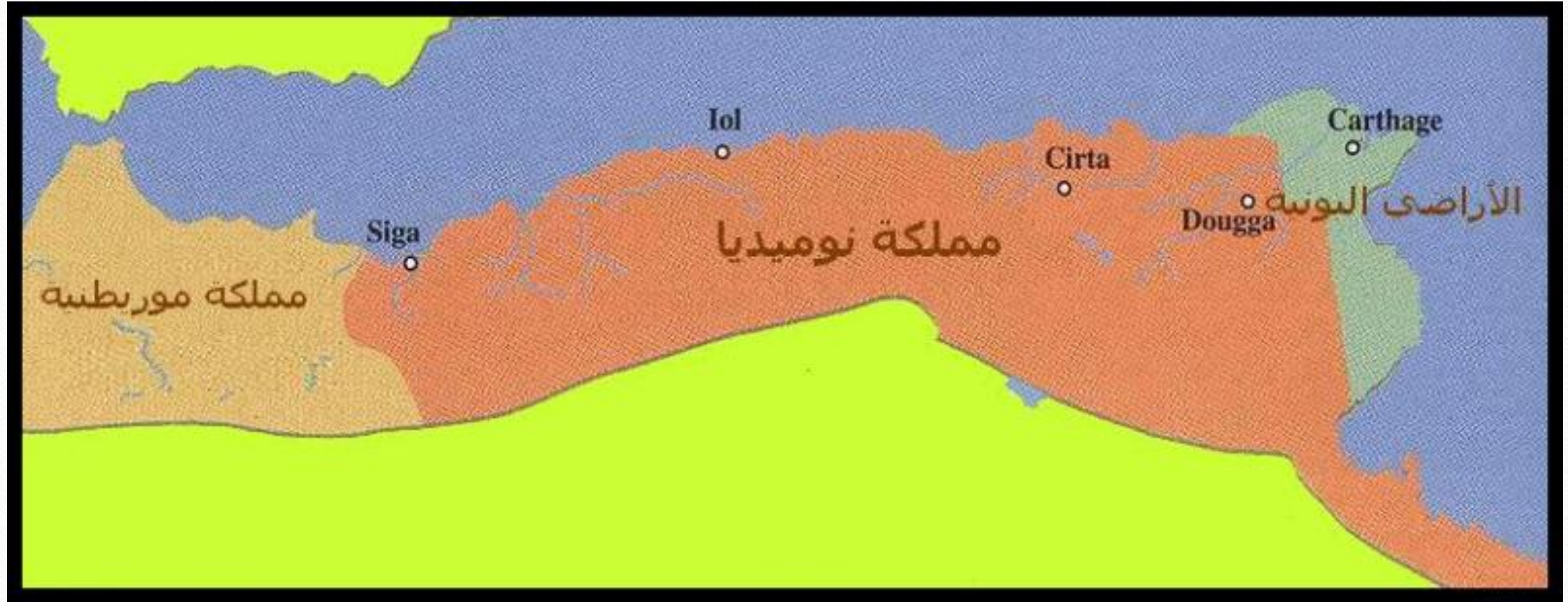
تبتدىء بلاد البربر من جهة المغرب عند جبل آيدواكال، وتشمل مدينة ماسة وسائر اقليم سوس. ومن هناك تسير وشاطيء المحيط الغربي إلى أعمدة هرقل، ثم تمر بهذا المضيق إلى البحر المتوسط ممتدة إلى تخوم الاسكندرية. وتحدها شرقا صحاري برقة تجاه مصر، وجنوبا طرف الأطلس الكبير المواجه للشمال.

يقول ابن الرقيق إن اسم بلاد البربر مشتق من البر الذي أطلقه العرب على البلاد قبل أن تكون أهلة، ومن ثم سمو سكانها برابر. لكن الرأي الشائع أكثر عند الافارقة أنها سميت هكذا باسم بعض السكان الذين كانوا يدعون بربر ويملكون حتى الآن عدة أراض في جينيوا والزنك حيث تقع مدينة بربرة، ويعتقد البعض الآخر أن الرومان، عندما احتلوا افريقيا، أطلقوا هذا الاسم على هؤلاء القوم بسبب عجمة لسانهم، فبقوا يعرفون به منذ ذلك العهد.

كما ذكر مارمول كرخال أن بلاد المغرب القديم تضم أربع
ممالك

قائلا

هذا الجزء هو أشرف أجزاء افريقيا في الوقت الراهن، لأن فهي أربع ممالك
كبيرة تحتوي على اقاليم عديدة ومدن غنية جدا. وأول مملكة وأقصاها موقعا نحو
الغرب هي مملكة مراكش، ثم مملكة فاس، وكلاهما في موريطانيا الطنجية. وبعدهما
في جهة الشرق مملكة تلمسان، في موريطانيا القيصرية. وأما مملكة تونس فهي
أقصاها من جهة الشرق، وتضم البلاد التي كانت تسمى بالذات افريقية.



خلاصة الموقع الجغرافي

بهذا الموقع احتلت بلاد المغرب موقعا استراتيجيا.

حيث تنتمي إلى الحوض الغربي للمتوسط، بالإضافة إلى انفتاحها على الحوض الشرقي من خلال سواحل ليبيا وتونس الشرقية.

شديدة القرب من القارة الأوروبية إذ لا يفصلها عن شبه جزيرة إيبيريا سوى مضيق أعمدة هرقل (13 كلم وعن إيطاليا عبر مضيق صقلية ب 140 كلم.

كما لا تفصل سواحل برقة الليبية عن جزيرة كريت اليونانية سوى 300 كلم.

من جهة أخرى تنفتح بلاد المغرب على المحيط الأطلسي الذي سهل مهمة التواصل مع غرب وشمال أوروبا وكذلك مع سواحل إفريقيا الغربية.

ورغم ذلك تأخرت بلاد المغرب الدخول في الفترة التاريخية حوالي ألفي سنة مقارنة بالشرق.

يعتبر الشمال الإفريقي من الناحية الجغرافية إقليمًا واحدًا ، فهو منعزل عما حوله ، فالبحر المتوسط يفصله عن لقارة الأوروبية من ناحية الشمال والمحيط الأطلسي من ناحية الغرب، أما الصحراء في الجنوب فتمثل حاجزًا يفصل هذا بين الإقليم وبين إفريقيا السوداء، وبذلك يصدق التعبير العربي الذي كان العرب يطلقونه على هذه المنطقة وهو جزيرة المغرب، وهو تعبير صادق في تصويره لهذه العزلة الجغرافية ولكنه ليس صادقًا تمامًا لما نتحدث عن تاريخ المنطقة ، فبالرغم من وجود هذه العزلة الجغرافية بين هذه المنطقة وغيرها إلا أن ذلك لم يمنع من وصول الهجرات المختلفة للمنطقة

أن تباين التضاريس والمناخ والغطاء النباتي وكذا صعوبة
الاتصال بين مختلف الأقاليم وانعدام الأودية الكبرى وقساوة
الصحراء إضافة إلى ثنائية النمط المعيشي "الحضر والبدو"
جعل بعض المؤرخين الاستعماريين يؤمنون بنقمة الطبيعة
ويحكمون بالعجز الأبدي عن قيام وحدة في المنطقة المغاربية،
وهو ما يفنده الواقع، حيث لم تصمد العوامل الجغرافية أمام
التاريخ

الجغرافية البشرية لبلاد المغرب القديم

أصل السكان

يتوفر لدراسة أصل سكان المغرب القديم مصدران، يتمثل أحدهما في المصادر الأدبية، ثم البقايا الأثرية والأنثروبولوجية المكتشفة حديثاً.

ففيما يخص المصادر الكتابية

يذكر هيرودوت أن ليبيا تقطنها أربع أمم لا أكثر، اثنتان منهما أصليتان:

الليبيون في الشمال والإثيوبيون في جنوب ليبيا

واثنتان وافدتان، الفينيقيون والإغريق فإنهم استقروا فيها فيما بعد.

وفي موضع آخر يقول " المنطقة الساحلية من ليبيا الممتدة من مصر إلى رأس سوليس الذي يسجل نهاية القارة الليبية إلى الغرب أهلة بالليبيين".

وهو ما يعني ضمناً الوحدة الاثنية (ethnique) لسكان شمال إفريقيا من مصر إلى المحيط الأطلسي.

ويذكر سالوست أن الليبيين مع الجيتول من سكان إفريقيا الأصليين ثم يضيف إلى جانبهم الميديين والأرمن والفرس الذين جاؤوا من إسبانيا بعد موت قائدهم هرقل، فامتزج الميديون والأرمن بالليبيين.

بينما امتزج الفرس بالجيتول، ونتيجة لامتزاج العرقين الأخيرين ظهر "المور" الذين عاشوا حياة الاستقرار بينما اضطر الجيتول والفرس إلى حياة الترحال، فعرفوا بـ "الرحل" (Nomades) وبذلك ظهرت تسميات جديدة مع الرومان.

وصف الرومان لسكان المنطقة

وقد تحامل المؤرخون الرومان على السكان المحليين (الليبيون)
بقول المؤرخ الروماني سالوست " كان سكان شمال إفريقيا الأوائل من
الليبيين والجيتوليين، وهم أقوام خشنون وبرابرة يتغذون بلحوم
الحيوانات المتوحشة أو بأعشاب المروج على شكل قطعان الماشية، لا
يحكمهم أمير ولا العادات أو القانون بل كانوا يعشقون المغامرة
ومتفرقين، بحيث لا يتوقفون إلا إذا داهمهم ظلام الليل".

أصل الومريون

في القرن السادس ميلادي جاءنا المؤرخ البيزنطي "بروكوبيوس" بنظرية حول أصل "الموريون" والموريون في ذلك القرن هي تسمية تطلق على سائر الأفارقة الذين حافظوا على تقاليدهم وأساليب عيشهم بمعزل عن الثقافة الحضرية التي نشرتها روما. فيورد أن غزو "يوشع Josué" للأراضي الموعودة دفع بعديد الشعوب القاطنة على البحر بالرحيل، فسعى هؤلاء في البداية للاستقرار بمصر، لكنهم وجدوها كثيرة السكان، فتوجهوا إلى "ليبيا" فشغلوها وما حولها إلى غاية أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) وأنشأوا لهم مدن عديدة ويواصل "بروكوبيوس".

"ولبت فيها خلقهم وما زالوا يتكلمون الفينيقيون لليوم ولقد أقاموا لهم حصنا في "نوميديا" في موضع مدينة "تيجيسيس" حيث هنالك ينتصب نصيب نصيبين تذكاريين كتب بالفينيقية بما معناه: "نحن الذين هربنا بعيدا من وجه الشرير "يوشع" ابن "نافي". معروف أن هذا المؤرخ رافق "صولومون" الذي كانت له عديد الحروب في جنوب "قيرطا" وليس بعيد أنه رأى عديد النصب المكتوبة باليونانية أو سمع بوجودها. هذه الرواية تدعم ما نقله لنا القديس أوغسطين قبله بقرن قائلًا أنه إذا سألنا فلاحينا المنتشرين بريف عنابة (هييون) يقول باليونانية: "نحن كنعانيون": طبعا علينا أن ننظر لرواية "بروكبيوس" ضمن الارهاصات الأولى للهجرات الفينيقية قبل تأسيس "قرطاجة". بدوره "سترابون" يقول أن "الموريون" هم هنود قدموا إلى ليبيا تحت قيادة "هرقليوس" ووضع المؤرخ اليهودي "يوسيفوس فلافيوس" أصل الجيتول مشرقيا.

هذه الآراء التي قدمها المؤرخون القدماء واصل على منوالها المؤرخون القروسطيون، فنجد أن عديد المؤرخين العرب نسبوا البربر إلى أصول مشرقية، فهذا "البكري" يقول أن اليهود طردوهم من سوريا وفلسطين بعد موت "جالوت" ويتفق مع المسعودي بأنهم أقاموا لفترة وجيزة في مصر. في حين، نسبهم ابن خلدون إلى "كنعان بن حام بن نوح" وأن اسم أبيهم هو "مازيغ" وأصلهم من الشام". اعتبر كذلك بعض النسابة العرب أن صنهاجة وكتامة ليسوا من البربر بل من اليمن، في حين يزعم بعض نسابة البربر أن "لواتة" من "حمير". بدورهم المؤرخون

المعاصرون دخلوا غمار النقاش وقدموا نظرياتهم التي قامت على المقاربات اللغوية والأثرية. فقال البعض أن البربر هم ذو أصول شرقية حيث قدم الكنعانيون الهاريون إلى إفريقيا على مراكب الفينيقيون واختلطوا باليبين البدائيين وعلموهم الزراعة وأصبحوا معروفين "بالليو-فينيقيون". كما ساهم تطور علم المصريات في القول بأصولهم الشرقية حيث ذهب البعض إلى أن "الهكسوس" الذين تعود أصولهم إلى سوريا وآسيا الصغرى بعد أن

تم طردهم من مصر دخلوا إلى إفريقيا واختلطوا بالليبيين. لم يتوان آخرون في القول أن الليبيون ذو أصول هندية بالاستناد على ما قاله سترابون وبعض الأسماء المكانية: ميناء Berbera في الصومال وشعب "Barbara" القاطن على النيل ومكان يدعى "Berber" في السودان وهي مقارنة تهدف للقول بوجود علاقة بين شبه القارة الهندية وبلاد المغرب.

أثرية وأنثرو بولوجيا

أما من حيث الجانب الأثري والأنثرو بولوجي فلا يستبعد الكثير من الباحثين أن يكون الليبيون والبربر أصليون في المنطقة من ذرية الإنسان المشتاوي، والإنسان القفصي الذي وجد في المنطقة منذ عصر الحجارة المصقولة وعاش فيها طوال فترة العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث. كما يظهر ذلك في أماكن تواجد بقاياها العظمية التي تؤرخ ب 6 آلاف سنة ق م في كلومناطة بالغرب الجزائري.

أهم التسميات التي أطلقت على المنطقة وسكانها

هناك غموض تاريخي، وأحيانا جغرافي حول التسمية التي يمكن أن تطلق على ما يعرف اليوم بالمغرب الكبير. بسبب:

- اختلاف الأنظمة السياسية التي توالت على هذه المنطقة .

- لعدم استقرار الحدود السياسية للبلدان التي تنتمي إليها، إما بسبب النزاعات القبلية بين أهلها أو بسبب تدخل الدول المستعمرة عبر العصور التاريخية في المنطقة.

أما تسمية المغرب فقد ظهرت في الفترة الإسلامية تميزاً عن المشرق، ونستعملها تجاوزاً فقط لربط تاريخ المنطقة رغم أنه لا وجود لهذه التسمية في الفترة القديمة، سوى إشارات فرعونية منها نقش كتب عليه كلمة "أمنت" (Imnt) التي دل عليها رسم ريشة النعام كحلية تقليدية لازمت رأس الإنسان الليبي في التاريخ الفرعوني. ومعنى "أمنت" **الغرب** الذي يقع غرب وادي النيل، وهو الذي تجتمع فيه الأرواح وتعيش فيه،

أو هو أرض غروب الشمس التي سمي العرب المحيط المحاذي لها من الغرب بحر الظلمات (المحيط الأطلسي).

وبعد الاتصالات والاحتكاك مع الفراعنة، عرف المصريون بلاد المغرب وسكانها بأسماء وجدت في النصوص الهيروغليفية منذ الألف الرابعة قبل الميلاد، وهي:

1- لبيبة واللويون

لقد وصف المؤرخ الإغريقي هيرودوت الذي عاش خلال القرن الخامس قبل الميلاد **ليبيا أو لوبية**:
بأنها تلك القارة الثالثة من قارات العالم المأهولة حينذاك، وهي تمتد من حيث تنتهي حدود مصر
الغربية إلى رأس سولويس (Soloeis) وهو رأس سبارتيل جنوب غربي طنجة على المحيط
الأطلسي.

عمرت بأناس من أصل ليبي يتجمعن في شكل قبائل متعددة ومتفرقة

فيما عدا الأجزاء الساحلية منها التي كان يحتلها الإغريق (قورينة) (Cyrinaïque) بليبيا الحالية
والفينيقيون إلى الغرب من ذلك.

أما عند المصريين فيرجعون هذا الاسم إلى قبائل الليبو (L.B.W) أو الريبو وقد كانت منطقتهم تمتد من
وادي النيل شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، وكان منهم المستقرون والمتنقلون الرعاة.

كما تعيد الكتابات المصرية تسمية ليبيا إلى اللغة المصرية وأنها أطلقت في عهد الفرعون مرنبتاح (Merneptah) في حوالي 1220 ق م.
حيث وردت في نقش هيروغليفي يمجّد انتصارات ذلك الفرعون على الليبو الذين غزوا مصر من الغرب.

وهناك من المؤرخين من يحاول إعادة اسم ليبيا إلى اسم ملكة كانت تحكم شعبا يقطن إلى الغرب من وادي النيل

أو يمكن أن يكون الاسم قد استتبط من اسم ربة كانت تعبد في المنطقة
أما الأساطير اليونانية فتقرن بين لوبه وبين الربة يوربا (أوربا) التي اشتق منها اسم القارة الأوروبية.

ظل مصطلحا ليبيا واللوبيون يستخدمان في المصادر الإغريقية واللاتينية حتى أواخر العصور العتيقة، فقد تحدث فيرجيليس على مدن ليبيا ودبية ليبيا.

كما نعثر على هذين المصطلحين في النقوش البونيقية بشكل (LBT LBY) في سلامبو بقرطاج وكذا في معبد الحفرة بسيرتا الذي عثر فيه على مجموعة من النصب.

وعند ياقوت الحموي في معجم البلدان، فإن لوبية مدينة بين الاسكندرية وبرقة، ينسب إليها لوبي و اسم ليبيا مشتق من اللوب واللؤوب واللواب الذي يعني العطش والحرارة الزائدة.

والمنطقة تتوفر فعلا على هذه الظروف المناخية، ويطابق هذا الرأي ما ورد في رحلة الضابط ف. بيشي (F.W.Bee chy) التي سجلها فيما بين سنوات 1821-1822، من أن اسم ليبيا يمكن أن يكون ساميا ويعني أرض الأسود، ذلك لأن كلمة: لوبة" تعني اللبوة أي أنثى الأسد، أما لوب فهي العطش والجفاف.

ووردت أيضا الإشارة إلى اسم الليبيين في كتاب التوراة (سفر التكوين) وذلك تحت اسم ليهابيم، أو لوبيم، كما احتوت أسفار أخرى بدورها على تسمية الليبين ووصفهم بالجنود المحاربين ضمن جيش فرعون مصر شيشنق (فرعون من أصل ليبي) في معاركه ضد الملك العبراني رحبعام بن سليمان الحكيم.

أما حقل استخدام مصطلح ليبيا والليبيون فقد اختلف فيه من فترة تاريخية لأخرى ومن مؤرخ لآخر، فإذا كان هيرودوت وكثير من المؤرخين الإغريق منهم هو ميروس وسترابون يعنون بالليبيين كل القبائل التي تسكن السواحل الشمالية لإفريقيا من مصر حتى المحيط الأطلسي ، فإن بوليبيوس وهو مؤرخ إغريقي أيضا من القرن الثالث ق م يعني بالليبيين السكان الأصليين الخاضعين لقرطاجنة.

2- نوميديا والنوميديون

نسبة إلى المملكة النوميديّة التي تنطبق تسميتها على الجزائر حاليا تقريبا، ومنطقة التل من الجنوب التونسي، وذلك حتى خليج سرت في ليبيا حاليا

وقد وحدها في بداية الأمر الملك سفاكس ثم تبعه الملك ما سينيسا بعده والذي اعتلى عرشها لمدة 56 سنة.

ظهر النوميديون في خريطة المغرب السياسية على لسان مؤرخي القرن الثاني ق.م كشعب كبير ذي سيادة على أوسع رقعة من المغرب الأوسط، كانت دولتهم ممتدة من جوار القرطاجيين شرقا إلى نهر الملوية غربا،

و قد تراوحت حدودها السياسية عبر الزمن توسعا و انحسارا.

أما عن أصل الاسم، فقد ورد عند هيرودوت مصطلح Nomad الذي يعنى البداوة
والترحال أي نمط المعيشة.

أشار استرابون أن حاملي ذلك الاسم تسموا بالنوميد لأنهم كانوا بدوا أرغمتهم
الحيوانات الضارية على ترك الفلاحة و إمتهان الرعي.

كذلك كان المعنى عند سالوستيوس

أما بوليبيوس فقد إستعمل مصطلح نوميديا للدلالة على كيان سياسي محدد و على
شعب معين له خصائصه ونظمه

وفيما بعد احتفظ الرومان بالتسمية الإدارية للإقليم الجغرافي النوميدي الذي كونوا
منه ولاية رومانية متغيرة الحدود.

و الجدير بالذكر، أن أصل مصطلح نوميد، أصل محلي و الدليل على ذلك وجود قبائل أثناء الاحتلال الروماني تحمل اسم النوميد، غير أن المؤرخين الإغريق خلفوا بين إثنية الاسم و بين مدلوله كصفة .

من هنا التصقت بالنوميد تلك الصفة بأنهم شعب بدو، دون زراعة، دون مدن و دون قوانين، و هذا مفهوم خطأ.

3. الأفرقة وأفريقيا

إنه مصطلح حديث نسبياً، اعتماداً على الشواهد الكتابية التي لا تتجاوز أواخر القرن الثالث ق م.

أما عن اشتقاق الإسم فهو محل أخذ ورد بين المؤرخين، فرأي البعض أنه مشتق من جذر (F.R.G) التي تعبر عن فكرة تفريق المستوطنات

أو من كلمة (Frigi) أو (pharikia) التي تعني بلاد الفواكه.

بينما فكر آخرون في الكلمة اللاتينية Apricus و Aprica التي تعني المناخ الحار نسبياً.

كما استعمل الرومان اسم أفريقيا، حيث أطلقوا على الأرض التي ألقوها
بممتلكاتهم بعد سقوط قرطاجنة عام 146 ق.م اسم أرض أفريكا رومان Terra
Africa

و أطلقوا على سكانها اسم أفري Afri و مفردة آفار Afer قاصدين بذلك
القرطاجيين و سكان الكهوف من السكان المحليين، و نفس الشيء فعلوه عند
إلحاقهم لمملكة نوميديا عام 46 ق.م.

و لقد أعطيت عدة تفسيرات لكلمة Afer منها أن جد الإفريقيين كان إسمه آفار،
أو ربما هي اسم معبود محلي، أو ربما أيضا تعني "مغارة" التي لا تزال مستعملة
في اللهجات البربرية الحالية.

وهناك من ينسب كلمة إفريقيا إلى الكلمة العربية "عفري" أي المُعفرة وجوهم بالتراب، كما لم يتردد المؤرخون العرب في العصور الوسطى من إيجاد بطل أسطوري "إفريقيش" احتل هذه المنطقة فسميت باسمه.

وعموما المرجح أنه مصطلح ليبي قديم "محلي" أخذه الرومان وأطلقوه على الأراضي القرطاجية التي احتلوها سنة 146 ق م، وشيئا فشيئا بدأ اسم المقاطعة يتوسع ليشمل كل شمال إفريقيا من طرابلس إلى المحيط حتى أصبح يطلق على كامل القارة، عوض اسم ليبيا عند الإغريق.

4- موريطانيا والموريطانيون

وهو مصطلح مأخوذ من الكلمة الفينيقية "مورو" التي تعني سكان الغرب أي منطقة ما بعد نهر "الملوشة" الملوية حاليا، والذي يفصل المغرب الأقصى حاليا عن الجزائر.

وقد توسع مصطلح موريتانيا فيما بعد نحو الشرق لأسباب سياسية، لا سيما أثناء الفترة الرومانية حتى منطقة سطيف وجزء من الأوراس

ثم قام الإغريق بالاشتقاق من هذا الاسم كلمة "موريزيا" وجرى تداولها في المصادر الرومانية بصيغة "موري" Mauri وهم من استوطن القسم الغربي من الشمال الإفريقي إلى المحيط الأطلسي.

5. البربر

هناك فرضيات كثيرة، فبعض المؤرخين العرب أرجعوا هذه التسمية إلى الجد الأول "بر"

والبعض الآخر على ما يذكر ابن خلدون ، نسبوها إلى افريقش الذي قال عندما سمعهم يتحدثون: "ما أكثر بربرتكم" فسموا بالبربر، تعني كثرة الكلمات غير المفهومة.

أما عند المؤرخين اللاتينيين فيحددها قزال " هم الأهالي
المستعصين عن الحضارة اللاتينية". أي البعيدين عنها والرافضين
لها

كما أطلق عليهم الرومان باربار (Barbars) المشتقة من الكلمة اللاتينية (Barbarus) بمعنى الهمجي، حيث أطلقوها في مصادرهم الأدبية على من استعصى عليهم.

6. أماريغ

يميل المؤرخ كومس إلى اعتبارها الإسم الحقيقي لسكان شمال إفريقيا، ويتعلق الأمر هنا في نظره بالجذر (M.Z.G) أو (MZK) نجده في Mazazcces, Mazaccs , Mazices من الفترة الرومانية،

Mazyes عند هيرودوت

و Maxyes عند هيكاتايوس

و Imusagh الذي نجده إلى الغرب من فزان Imagighen في الصحراء
و Imazighen في الوراس والريف والأطلس و Tamasegt لغة الطوارق
الذين يسمون أنفسهم Imouchar

مصادر تاريخ بلاد المغرب القديم

المصادر الكتابية

أ- ما كتبه المؤرخون الإغريق والرومان (النصوص اللاتينية) ب- بقايا النقوش الخاصة بكل عصر من العصور التاريخية

ج- النصوص البوننية

المصادر الثقافية و المعنوية

المصادر الكتابية

أ- ما كتبه المؤرخون الإغريق والرومان (النصوص اللاتينية)

- تعبر عن مراحل العصر الروماني في المغرب أثناء فترة الاحتلال

-عثر على هذه النصوص في المواقع الأثرية الكثيرة وخاصة المدن الرومانية.

- أما النصوص اليونانية فهي نسبيًا محدودة نظرا :

*لعدم تمكن اليونان من فرض سيادتهم العسكرية إلا لفترات وجيزة في منطقة تونس ومنطقة

برقة.

*بعض الزيارات لمؤرخين يونان إلى بلاد المغرب حيث كتبوا عنها كهيرودوت إضافة إلى

بوليبوس، وأرسطو و ديودور ، وبلوتارخ ، واسترابو وغيرهم...

*اتخاذ بعض المؤرخين الإغريق طابع عدائي ضد القرطاجيين والفينيقيين ومعهم البربر باعتبار

تنافسهم التجاري، لهذا يجب أخذ بعض دراساتهم بأخذ الحذر والاحتياط.

ب- بقايا النقوش الخاصة بكل عصر من العصور التاريخية
كالنصوص التاريخية الليبية والفنيقية والقرطاجية حيث يعتبر هذا المصدر في غاية الأهمية
نظرا :

- لا اعتبار تلك النصوص والنقوش كوثنائق أصلية تعبر عن تاريخ المغرب القديم في المراحل
المنتمة إليها.

-النصوص الليبية ينبغي الاهتمام بها لأنها تصف جوانب من تفكير البربر وحياتهم وأدبهم
وهذه الناحية لها دورها الرئيسي في تاريخ المغرب القديم.

"

إضافة إلى بعض النصوص البونوية التي سجلها القرطاجيون، وتعتبر عن مختلف نشاطهم الاقتصادي والسياسي والفكري في المغرب القديم، وهي مرتبطة بنصوص الفنيقية في الشرق الأدنى لأنها تعتبر امتدادا له ، إضافة إلى بعض الكتابات التاريخية المتأخرة لرحالة ومؤرخين عرب ومسلمين من أمثال : أبو عبيد الله البكري، وابن عبد الحكم، وعبد الرحمن بن خلدون، والشريف الإدريسي، والحسن الوزان " ليون الإفريقي

المصادر الثقافية و المعنوية

أما المصادر الثقافية والمعنوية " الأنثروبولوجية " أو الثقافية وبخاصة العادات والتقاليد في مجتمع المغرب القديم وتتمثل في الوشم والرقص الشعبي والأغاني والأمثال، وكذا بعض العادات الدينية.
